نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين

جورج بيترز

obeikandl.com

obeikandl.com

١- نظرة تاريخية

إن التاريخ معلم عظيم، والواقع ومن وجهة نظرى أنه أعظم معلم بعد الكتب المقدسة، ويوجد فى التاريخ كنوز مدفونة من حكمة ومعرفة العصور الماضية وحكماء لإرشادنا وإنذارنا، وهذا يصدق أيضًا على تاريخ الإرساليات التنصيرية، والطبع أصبح من المألوف قراءة تاريخ الإرساليات التنصيرية فى سبيل اكتشاف الأخطاء التى صدرت من أسلافنا لخلق مواقف نقدية من مهمة التنصر فى الماضى، وهناك ثمة أخطاء ملحوظة وهذا أمر طبيعى ولكننى أركع بإعجاب وخجل أمام عظماء هذه العقيدة والأبطال والشهداء الذين ساروا فى الطريق قبلى يكدحون لخدمة ربهم وتركوا لنا تراثًا لا نعتذر عنه أو نخجل منه، وهذا ينطبق بصفة خاصة على الرجال والنساء الذين كدحوا بدمائهم ودموعهم وعرقهم وصلواتهم وصبرهم فى العالم الإسلامى، والذين وضعوا الأسس الأولى التى نستطيع أن نبنى عليها ونأمل بحصاد أوفر.

لقد كان قلبى يخفق عند قراءة مئات الصفحات وبعض سير الحياة الشخصية لإعداد هذه الخلاصة عن الأنشطة التنصيرية بين المسلمين، إننى أقف بإعجاب أمام الإخلاص وبعد النظر والعمق اللاهوتى والنشاط التنصيرى والمنهجية القادرة على التكيف والابتكار، أقف بإعجاب أمام هذه الخصائص التى أظهرها هؤلاء المنصرون فى دعوتهم، إن القضايا التى واجهتهم لا تزال تواجهنا ويبدو أنها ستستمر على هذا الحال إلى زمن غير محدود، إنهم كانوا يتوقون إلى رؤية الناس يتجهون إلى الرب أفواجًا، وفى ذات الوقت واجهوا وبجهد بالغ ما كانوا يعتقدونه عوائق لمسيرتهم ومع ذلك لم يشاركوا فى مرحلة الحصاد فهل من الممكن لنا أن نعيش حتى تلك الأوقات التى يصبح فيها ما ورد فى يوحنا ٤: ٣٦ - ٣٨ تاريخياً فى العالم الإسلامى؟ وحيث إننا نرنكز على جهود أسلافنا فيجب أن ننطلق دون دراسة تجاربهم وآرائهم بصورة دقيقة.

ماذا كانت إذن موضوعات وأساليب تلك المهمة وتلك الدعوة؟ نقول إن هؤلاء الرجال اختلفوا إلى حد كبير فى أساليبهم وطرقهم ليس بسبب اختلاف جمعياتهم التنصيرية فحسب ولكن أيضًا بسبب اختلاف البلاد والشعوب التى عملوا على خدمتها، ومن الواضح أنهم كانوا كنسيين بارعين وقادة تنصير ودعاة ودودين وعلماء أجناس بشرية عمليين، عديد منهم كانت لديه قابلية ومقدرة رائعة فى اللغويات وهؤلاء الرجال والنساء - باستثناء القليلين جداً منهم - كانوا يهدفون إلى خدمة الرب والناس الذين يسعون إليهم أكثر من خدمة طوائفهم وبلادهم.

لقد كانت أهدافهم محدودة وثابتة على الرغم من أن وسائلهم وأساليبهم لم تكن كذلك، وطالما بحثوا فى هذا المجال عن حلول وعثروا عليها فى معظم الأحيان، وفى سبيل إنصاف هؤلاء الرجال والنساء يجب علينا أن نبحث من بلد لآخر ومن جمعية إلى أخرى لكى نقف على جهودهم الخاصة فى هذا المضمار، ولا يمكن تحقيق هذا العمل ولذلك يصبح من الضرورى إعطاء خلاصة للموضوع.

٢- الهدف المزدوج للإرساليات التنصيرية

إن المسألة التى لم يتم فيها الوصول إلى قرار هى كيفية الوصول إلى المسلمين فى البلدان التى توجد فيها كنائس قديمة (معظم بلدان الشرق الأوسط، إضافة إلى مصر وأثيوبيا) وهل يتم ذلك عن طريق هذه الكنائس أم أنه يجب القيام بمبادرة جديدة للوصول إلى هؤلاء المسلمين، وبالطبع هذا لم يؤثر على الوضع فى شمال وأواسط الهند والباكستان والمملكة العربية السعودية، ويشير التاريخ إلى أن إرساليتين أمريكيتين تنصيريتين إلى الشرق الأوسط أنفقتا معظم الوقت فى محاولة تجديد حياة الكنائس الشرقية التاريخية، ولذلك لم تتمكن من القيام إلا بجهود محدودة لتنصير المسلمين، وعليه لا يمكن أن تكون تلك الإرساليات مقياسًا صحيحًا لتقييم فعالية الدعوة بين المسلمين، ولو تمسكت إرساليات التنصير بنفس الهدف وأعلنت الرسالة ذاتها بكل عزم وإصرار فإن النتائج التى كان من الممكن تحقيقها من خلال هذه المنهجية لا يعلمها إلا الرب وحده، ويبدو لى أن المنهجية التنصيرية كانت ممتازة وجديرة بالتأمل والاتباع، ومن المؤكد أن الرب لا يقصد

تخطى العظام الناشفة التى تنتمى إليه، ومن يدرى ماذا يعنى هذا إذا ما نفخ الروح القدس حياة جديدة فى العظام المبعثرة فى الشرق الأوسط وأعاد بصورة أصيلة انبعاث الكنائس، إنه بلا ريب قادر على فعل ذلك ولكنه قد يحتاج تعاوننا فى هذه المسائل، فهل نحن راغبون ومستعدون لمثل هذا التعاون؟ ويظهر أن الرب يقوم ببعث الحياة فى أجزاء من الكنائس القبطية فى مصر، وعلينا ألا نستبعد تلك الاحتمالات والضروريات ولكن كيف يمكن القيام بتلك المهمة؟ فتلك مسألة أخرى إذ لا تتوفر إجابة سهلة الآن.

دخلت **جمعية التنصير الكنسية والجمعية الكالفنية الهولندية الأمريكية والجمعية الكنسية الأسكتلندية** جميعها للشرق الأوسط بهدف تنصير المسلمين وقد تبعتها جمعيات أخرى أصغر لتصل إلى المسلمين بإنجيل يسوع المسيح، كما نجد ذلك مدونًا فى العديد من الأوراق لدينا.

٣- أسلوب التنصير

وهو أمر آخر له علاقة بطريقة الوصول إلى المسلمين وتنصيرهم وقد أصبح موضع دراسة جادة ونلاحظ وجود اتجاهات ثلاثة:

١- الأسلوب المباشر فى التنصير:

اتخذ هذا النوع عدة أشكال، ويعتبر **هنرى مارتن وكارل كوتليل فاندر** رائدى أسلوب المناظرات والدفاع عن العقائد النصرانية، ونهج كثيرون نهجهما، وقد اشترك هؤلاء فى الدعوة العامة وفى المناظرات وفى الحوار والنقاش، ولقد كان دفاعهم عن العقائد النصرانية واضحًا وذاتيّاً وكانت قلوبهم مفعمة بالدفء والهدوء، والكتاب الذى ألفه **كارل بفاندر** بعنوان **ميزان الحق**[1] أعيد طبعه عدة مرات، وفيما ترك هؤلاء الرواد بصماتهم على التنصير ووجدوا آذانًا صاغية لمواعظهم ونصروا البعض إلا أنهم فى الوقت نفسه نفروا آخرين عن الكنيسة، إن مستوياتهم الأكاديمية الرفيعة وقدراتهم الرائعة لم تبن جسورًا فعالة لإنجيل المسيح.

---

(1) Karl Pfander, The Balance of Truth.

وبسبب ذلك أصدرت **لجنة المطبوعات النصرانية للمسلمين** قراراً[1] فى لاهور فى الهند عام ١٩٣٥م ينص جزء منه على ما يلى:

نظراً إلى أن المطبوعات المتداولة والتى تتضمن الهجوم على النبى المسلم محمد غير مرغوب فيها فقد تم التصويت.. لوقف مثل هذه المطبوعات، كما أقرت اللجنة كمبدأ أساسى للمستقبل بأن يوصى بمنع نشر أى كتاب أو نشرة دينية تقع فى هذا التصنيف[2].

وقد اتخذ هذا القرار لأن:

الإيجابية الرائعة التى يتمتع بها الإنجيل والشخصية الباهرة ليسوع المسيح تقدم لنا موادًا كافية للعمل دون الإفراط فى تشجيع نقد سلبى[3].

وليس لنا حق الحكم عما إذا كان أسلوب الجدل قولا أو كتابة أمراً صحيحًا فى ذلك الوقت ولربما كانت كذلك، ومع ذلك من الواضح أن الأحوال قد تبدلت مما يتطلب تغييراً فى الأسلوب، اتخذ الأسلوب المباشر للتنصير صورة مغايرة عند **الأسقف كريك** وكل من **دكتور فريد كورسيل ودكتور صموئيل زويمر** اللذين كانا محدثين أكثر منهما مجادلين وكانا بارعين فى إقامة صداقات شخصية فى الحوار المباشر وقدما بكل محبة ودبلوماسية إنجيل المسيح إلى أفراد ومجموعات صغيرة، واعتبر **صموئيل زويمر** أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لكسب مستمعين للإنجيل بين المسلمين، وأقرب طريق إلى قلوبهم[4]، يكمن هنا أمر أكبر من تنصير فردى مباشر، إنها صداقة إنجيلية فردية على مستوى رفيع ومعتدلة بعناية ومعدة بمهارة وحذر رافقتها صلوات حارة، وبعد أن أبدى **زويمر** بعض الملاحظات وبعد تقديم الموضوع فسح المجال **للدكتور كودسل** بالإفادة عن القصة الكاملة:

إن الطريق الوحيد إلى الإرادة المنيعة يمر عبر العقل والقلب، ولذا فإن إقناع أى فرد ضد إرادته هو كسب هذه الإرادة عن طريق العقل أو العاطفة لتبنى موقف جديد وعزم جديد.

---

(1) Christian Literature for Moslems Committee.

(2) Sammuel Zwemer, The Cross Above the Crescent, 1941.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

يشير **دكتور فريد كوسيل** إلى هذه الطريقة الرائعة بعد سنين طوال فى العمل منصراً فى استانبول، إنها لغة المحبة تنطق بها شفاه بشرية وتعبر عنها حياتهم وهو اعتماد على تجربة شخصية فيقول:

فى سعينا إلى تعريف المسلم بيسوع المسيح علينا أن نعتمد على التأثير الفعال المشع لإنسان يسلك سلوك المسيح فى حياته، إن هذا هو الشيء الوحيد الخفى فى عقيدتنا النصرانية، إن الاعتماد على هذه الخاصية أبرع الجدل المنطقى وأقدر على الإقناع من المشاريع وأكثر من أى جهد تعليمى دينى رسمى، ولا تسمح الظروف التربوية للمرء لأن يدرج بعض الحالات التى حدثت مؤخراً والتى آمن فيها إنسان بالمسيح ليس نتيجة كلام قيل عنه بل لأنه تجسد من جديد وعاش يومياً فى مجتمعهم.

هنالك أساسًا ثلاثة أسباب لقلة المسلمين الذين جاؤوا حتى الآن ليشاركوننا تجربتنا مع المسيح:

أولا: كان المسلمون عبر تاريخهم متدينين ومتشددين ومكافحين بل أكثر المتدينين تعصبًا وكما كان لديهم عسكرية.

ثانيًا: كانت نماذج طريقة حياة المسيح التى يعرفونها منذ البداية مكروهة لديهم مما أدى إلى توسيع الشقة بدلا من تضييقها ويمكن القول بحق أن الإسلام بدعة نصرانية استندت فى مناشدتها للعقول الورعة على معارضتها للشرك فى الحياة النصرانية والعبادة.

ثالثًا: إن كنائس العالم النصرانية لم تضطلع جدياً بمهمة تنصير الشعوب الإسلامية، إن تمثلها طريقة حياة المسيح لم تكسبها أنصاراً كثيرين لأنها لم تمارس بين ظهرانيهم وعلى نطاق واسع وخلال فترة طويلة، ولا تزال كلمات المسيح ترن: «وأنا إذا صعدت سوف أضم كل الناس إلىّ» وبعد خبرة أربعين عامًا -كانت بعضها تجربة قاسية وحزينة فى بذر البذور فوق الصخور ومشاهدة الطيور تلتقطها عن آخرها - فإننى مقتنع بأن أقصر الطرق إلى قلب المسلم هو طريق المحبة الإلهية وطريق الصليب[1].

---

(1) Ibid.

إن الحديث باستخفاف عن منهجية التنصير الفردى أو احتقارها يعنى الاستخفاف بالمسيح وبالقديسين العظام ويكشف عن معرفة محدودة بتاريخ عمل الرب، إنها وسيلة من وسائل الرب للتنصير بالجملة، والحركات الشعبية وسيلة من وسائله أيضًا على الرغم من أننا نرغب فى الآخرة ونصلى ونعمل من أجلها، ولقد اتخذ العمل التنصيرى فى العقود الماضية شكل مجموعات صغيرة ودراسات إنجيلية موجهة فى البيوت وأماكن العمل، كان ذلك هو المنهج الذى سار عليه الأخوة والذى أدى إلى نتائج باهرة فى مصر قبل حرب عام ١٩٥٦م ولكن بناء السد العالى فى أسوان أدى إلى إنهاء عملهم هناك.

إن الأسلوب المباشر يروق لبعض الأفراد ولا يفقد تأثيره وفعاليته أبدًا إلا أنه يتطلب قدرًا كبيرًا من الحصافة والحكمة الإلهية وخاصة فى عصرنا المتسم بالحساسية الشخصية والقومية الدينية، وعلى وجه العموم فقد ظل هذا الأسلوب المعدل هو نفس أسلوب **الإرسالية النصرانية المتحدة وإرسالية شمال إفريقيا واتحاد إرساليات الإنجيل** وإرساليات عديدة أخرى، واتخذ أسلوب التنصير المباشر شكل الدعوة العلنية متى ما كان ذلك ممكنًا فى قاعة خاصة أو فى كنائس، ولكن هذا الأسلوب اجتذب عددًا قليلا جداً من المسلمين فيما عدا بعض الذين جاؤوا بصورة سرية وظلوا مجهولين.

٢- الأسلوب الشامل:

انتهج هذا الأسلوب الأبرشانيون والمشيخيون المتحدون واللوثريون (فى أثيوبيا خاصة) وعلى الأخص من قبل **الجمعية الكنسية التنصيرية** فى إيران واتخذ أبعادًا أربعة:

الدعوة بأشكال مختلفة فى مجال الخدمات الصحية والتعليم (المهنية والأكاديمية) والمؤسسات الخيرية كمؤسسة للأيتام وبناء المنازل للمعدمين.. إلخ. وقد طبقت الإرساليات التنصيرية هذه الطريقة ليس فقط بسبب الحاجات الملحة حولهم ولكن اقتداء بقول الرب: «وكان يسوع يسير فى أنحاء الجليل، يعلم فى المجامع ويعلن بشارة الملكوت، ويشفى الناس من كل مرض وداء» (متى: ٢٤).

ولم يخل الأسلوب الشامل من نتائج شاملة ومؤثرة وإن كانت عامة، فمن ناحية كان ذلك الأسلوب هو الأسلوب الوحيد المتاح للإرساليات التنصيرية للقيام بمهمتها كما يبدو عليه الحال فى تركيا، ومن ناحية أخرى أوجد هذا الأسلوب حداً من الصراحة والتسامح مما أتاح للإرساليات التى تعتمد على الإنجيل أداء أعمالها بجدية أكثر، وكانت تلك الإرساليات تكمل بعضها بعضًا وتتعاون فيما بينها ويتعين علينا أن نكون دقيقين فى أحكامنا فيما يتعلق بتلك الأمور.

إنها لحقيقة تاريخية أن مئات المدارس القروية وعديد من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس ومكنتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصرانى، وهذه الكليات التى كانت ومازالت مراكز لتأثير عظيم فى الشرق الأوسط والأدنى هى **كلية روبرت** فى استنبول **والجامعة الأمريكية** فى بيروت **والجامعة الأمريكية** فى القاهرة، وإذا لم نتمكن من إحداث التأثير النصرانى الإيجابى الذى خطط له مؤسسوها فإن الخطأ يقع على عاتق الإدارة والموظفين وليس بسبب عدم توفر الفرص أو الإمكانات أو الوسائل، كما أن إنشاء هذه المعاهد قد فتح بابًا عظيمًا ولكن عدم استمرارية تأثيرها يعود إلى المحتوى والتوجيه وليس بالضرورة إلى المنهجية.

لقد أعطت مدارس البنات والنساء فى الشرق الأوسط المرأة هناك إحساسًا بالكرامة الذاتية لم يكن بإمكان أى شىء آخر أن يعطيه، وحول هذا الموضوع كتب **أولدهام** يقول:

إن المنصر يأتى إلى البلاد الإسلامية كممثل لنظام دينى ومسار حضارى يكن له المسلمون كراهية وبغضًا، ولقد أثار الضغط الأوربى السياسى والاقتصادى فى نفوس المسلمين كل غرائز الدفاع عن النفس وقبل أن يتمكن الكتاب المقدس من كسب مستمعين مسلمين يجب أن يزال هذا الجدار من التحامل، وإذا كنا فعلا راغبين فى الدعوة إلى الإنجيل بفعالية وسط المسلمين فعلينا أن ندعو إليه فعلا وقولا، ويجب أن نعرض بصورة واضحة روح النصرانية الحقيقية فالمسلمون يعتبروننا أعداء، وعلينا أن نقنع المسلمين بطريقة أو بأخرى بأن النصارى أصدقاؤهم وليسوا أعداءهم ولهذا السبب فإن للإرساليات الطبية أهمية خاصة للعمل بين

المسلمين، إنهـا وسيلة ممتازة من وسائل إظهـار المحبة النصرانيـة، كما أن المدارس والكليات هى الأخرى وسائل قيمـة يمكنها أن تزيل الكراهية والتحامل وتصل إلى قلوب الناس، وتوزيع الأدب النصرانى والأدب العام ذى الطبيـعة المستنيرة هو نوع آخر من الأساليب المهمة التى يتوجب تطويرها، ليس هنالك إلا قليل من الوسائل التى يمكن أن تكون أكثـر إقناعًا للمسلمـين بصدق نوايا النصارى من المجـهودات الموجهة توجيهًا صحيحًا والهادفة إلى تحسين أوضاعهم المالية ومساعدتهم على حل مشكلاتهم الاقتصادية، إن هذه الأشـياء لا يمكن أن تكون بديلا لنشر تعاليم على شكل خدمات فعلية مـجردة من الغرض بحيث تقنع أكثر الناس تحامـلا بأنها تعبير صادق للمحبة[1].

وتشيـر سجلات **الجمـعيـة الكنسيـة التنصيـرية** فى إيران إلى فعـالية الأسلوب الشـامل، إن السـبب الكامن وراء ركـود هذا الأسلوب الذى كـان يبشـر بالنمـاء يستحق أن يدرس دراسة جادة، وبلا شك فإن عقودها الأولى كانت مبشرة وكانت تشير إلى أسلوب يمكن أن يقود إلى اختراق فعلى فى العالم الإسلامى.

٣- الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل:

هناك عدة عوامل ومواقف وأمزجة نفسية إضافة إلى ظروف معينة تجعل من هذا الأسلوب أمرًا يروق لجيلنا ولوقتنا الحـاضر، وهذا الأسلوب قد يبرهن على فوائده عبر التـاريخ وخاصة فى العقود الأخـيرة، ويبدو لى أنه يجب علينا انتهـاجه بجد وإصرار، ومن عظيم الفائدة أنه قد تمت ترجمـة الإنجيل والعهد الجديد وأجزاء من الكتب المقدسـة إلى عدة لغات وطبـعت بمطابع الإرساليات ووزعت فى مـختلف البـلاد، ولم ينظر المسلمون أو النصـارى بلا اكتـراث إلى هذا الإنجاز، بل كـانت المعارضـة فورية، وعلق **دكتـور روبرت إسبـير** مشـيرًا إلى الكنائس الشرقـية التى تتحدث اللغة العربية ورد فعلها إزاء الترجمة العربية للإنجيل والذى وزع فى بيروت قائلا: «إن الخطيئـة التى لا يستطيع القساوسـة أن يغفروها هى قراءة الإنجـيل كما صدرت أول معارضة قوية عن طريق بطريك أنطاكية فى عام ١٨٢٧م محذرًا فيها:

---

(1) J. H. Oldham, The World and the Gospel 1916.

بعد الحديث عن الوقاحة الشيطانية التى وصل إليها لطوف العش التعيس والحقير وأبناؤه عندما تجرأوا على التعاون مع عائلة رجل إنجيلى رغم تحذيرات مسبقة يستطرد البطريك قائلا: ولذلك فنحن نحيط لطوف العش وأبناءه الشياطين وكافة أفراد أسرته رجالا ونساء علمًا بأنه قد تم حرمانهم كنسيّاً من كل تناول ربانى، ونحن الآن وبحكمة الرب القدير والتى هى السلطة المطلقة نؤكد هذه اللعنة عليهم، وعليه فإنهم ملعونون مطرودون ولتحيط بهم اللعنة كما يطوق الثوب صاحبه وتنتشر إلى كل أفرادهم مثل الزيت وتحطمهم إلى أجزاء مثلما تتحطم آنية الخزف وتزيلهم مثل شجرة تين حلت عليها لعنة الرب، فليحكمهم الشيطان ويسيطر عليهم نهارًا وليلا فى صحوهم ومنامهم، وفى أية حالة كانوا عليها، ولا نسمح لأى شخص بزيارتهم أو استخدامهم أو تأدية خدمة لهم أو تحيتهم أو التحدث بأى شكل، بل تجاهلوهم كعضو فاسد أو كشياطين مأواهم النار[1].

لقد شق الإنجيل طريقه حيث إن «كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىّ فارغة فى هذه الجملة، نجد الراحة والطمأنينة».

لقد طبعت ملايين وملايين الصفحات من المطبوعات النصرانية فى بيروت والقاهرة والهند وباكستان وإيران وهذا لا يعنى أننا قد فعلنا ما نستطيع وما يجب علينا أن نفعله ولكن أطنانًا من كتب المطبوعات قد وصلت إلى العالم الإسلامى، وكثير منه قد طبع للكنائس النصرانية القائمة ومع ذلك لم يهمل الإسلام تمامًا، يتحدث **روبرت أسبير وصموئيل زويمر** بصورة مقنعة عن فعالية توزيع المطبوعات وقيمتها ويبرهنان بالشواهد التى وثقها المسؤولون فى **إرسالية المعمدانيين الجنوبيين وإرسالية معابد الرب** فى بيروت **والإرسالية التنصيرية الدولية** فى طهران، ويحسن **زويمر** إيراد الحجة قائلا:

الواقع أنه فى كل العصور والبلاد كانت الصفحة المكتوبة فى كل مكان هى المنصر المتواجد دائمًا، ولقد سمعنا أن لوثر قذف الشيطان بمحبرة فى وارتبرج عندما كان يعد نسخته من الإنجيل الألمانى، وللأسطورة دلالاتها التنبؤية، إن أفضل

(1) Robert E. Speer, Presbyterian Missions, 1901.

شيء نقذفه بوجه شياطين الجهل والإثم هو محبرة مطبعة عصرية أى مطبعة لطباعة الكتب، إن الصفحة المطبوعة هى فعلا منصر متواجد فى كل مكان وزمان.. يمكنه أن يذهب إلى أى مكان وبأقل التكاليف ويمكن مضاعفته آليّاً بحيث يمكن لأى موزع للمطبوعات أن يفخر بأنه أجاب على صلاة المنصر ويسلى عندما رفع يديه قائلا: أمره من أين لى بألف لسان تتغنى بتمجيد مخلصى العزيز، إن الصفحات المطبوعة تدخل الأبواب المغلقة وخاصة فى البلاد الإسلامية، لقد تلقيت أنا شخصيّاً عندما كنت فى القاهرة طلبات للكتب والنشرات الدينية من مكة وكربلاء، فالكتاب يصل إلى الصفوف حيث يقرؤه من يستطيع القراءة ومن ثم يقرأ على الأميين، إنه وسيلة للوعظ لا تبلى ولا تحتاج إلى إجازة راحة أو إجازة مرضية، إنه فوق هذا ينفذ إلى العقل والقلب والضمير ويأتى بنتائج فى كل مكان. لقد تعرفت على حالات كثيرة مثل هذه ظلت فيها البذور الإنجيلية تحت الأراضى المهجورة والتربة الصلبة محتفظة بحيويتها وقدرتها على النمو والازدهار.

وفوق هذا وذاك فإن الأسلوب التنصيرى (عندما يطبق بصورة صحيحة).

يكون أقل عداء من الوعظ المباشر، بمعنى أن المنصر يستطيع أن يدعو بطريقة أكثر فعالية وجرأة وإقناعًا.

أضيف هنا تحذيرًا هو أنه من الخطأ إعادة الحياة إلى الكتابات والمطبوعات القديمة لتوزيعها اليوم، إننا بحاجة إلى كتابات «جديدة» لكل جيل ومطبوعات «مختلفة» لكل بلد وشعب، ويجب أن يفيض هذا الأدب بروح الحاضر إذا أردنا له أن يجد أذنًا صاغية، إن أى جيل جديد يتطلب أدبًا جديدًا.

هناك وسيلتان أخريان لأسلوب التسلل تهيأت لجيلنا الحاضر وأثبتت العقود الأخيرة أنهما مؤثرتان جداً، هما الإذاعة ودورات المراسلة، إن الإذاعة وسيلة جبارة للخير أو للشر، وقد توصل باحث ألمانى بعد عدة سنوات من البحث والاستقصاء فى العالم إلى تقدير مدهش جاء فيه أن العامل المؤثر الأعظم فى القرن العشرين كان الراديو الترانسيستور، لقد فتح هذا الاختراع أبواب العالم على بعضها وأزال كثيرًا من العوائق المستعصية ليلتقى العالم كله معًا، ولا شك بأن

التليفزيون قد يحل محل الراديو فى الأهمية، وهذا احتمال مستقبلى ولكن العصر هو عصر الراديو.

والحقيقة أن اجتماع مندوبى ٤٤ دولة لدى منظمة مؤتمر العالم الإسلامى قبل سنوات قلائل حيث أعلنوا رغبتهم فى إغلاق المحطات الإذاعية لإرساليات التنصير فى العالم الإسلامى وعلى تعاون ٢٤ منظمة إسلامية لإنشاء محطة إذاعية قوية فى مكة تعرف باسم «**صوت الإسلام**» يشير إلى شعورهم بالتأثير الذى تحدثه هذه الإذاعات النصرانية فى العالم الإسلامى، فهنا أداة أساسية استخدمها الرب بصورة واسعة فى العالم الإسلامى حيث دخلت بيوتًا لم تستطع حتى المطبوعات دخولها، ويعزى نجاح هذا البرنامج إلى دورات المراسلة التى تعتبر فى الوقت الحاضر أنجع الطرق فى عملية تنصير المسلمين، وبعكس الإذاعة التى تتطلب استماعًا مركزًا فإن دورات المراسلة تتطلب القراءة والتفكير والاشتراك فى الكتابة، كما أنها تشد العقل ويشارك فيها الفرد على مستوى عميق وليس فيها مجال للجدل والنقد، ولا يمكننى أن أقرر عما إذا كانت الدورات الحالية شيقة، كما يجب أن تكون ذات صلة وثيقة بالموضوع، ولكن الطريقة تبدو مناسبة وفعالة فى هذه المرحلة من التاريخ وفى الظروف الحالية، إن هذا الأسلوب على كل حال هو القوة الصامتة وغير المرئية التى لا تدخل فى أى جدال ولا تقبل أى اعتذار وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير.

٤- مسائل جوهرية:

لقد برزت إلى السطح عدة مسائل جوهرية من خلال تاريخ تنصير المسلمين.

أولا: كانت المسألة التى شغلت الأذهان ردحًا من الزمان هى مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان، فالإسلام على أية حال هو الدين الوحيد الذى جاء بعد النصرانية، لماذا ظهر الإسلام؟ وما الأسباب التى كانت وراء ظهوره؟ ما العوامل المحركة له والمؤثرة فيه؟ كيف نفسر عناده غير العادى وعداءه الجاد للنصرانية؟.

ثانيًا: هنالك الأسئلة حول الطبيعة الأساسية للإسلام، هل أن الإسلام أساسًا حركة حضارية -اجتماعية- سياسية تناصرها وتثبتها الحماسة الدينية؟ أم أن الإسلام

أساسًا ظاهرة دينية أى فكرة ومثالية (وقد أوجدت) ظاهرة حضارية -اجتماعية- سياسية خاصة بهـا وبنية تلائم «روح» الإسلام وتعبر عنهـا بطريقة مناسبة؟ وإذا اسـتعملنا المصطلحات النصرانية، فهل النظام الإسلامى نظام دينى تتحكم فيه الدولة أم دولة واقعة تحت الدين بشكل يوثق عـراها ويكسبها سيادة توظف نفـسها أولا وقبل كل شىء للقيام بواجبها لفرض سلطتها الدينية على الأفراد؟ وإذا كان النظام الإسلامى هو نظام دينى تتـحكم فيـه الدولة سيكون من الممكن ضـرب إسفـين بين الثقـافة والكيان من جـانب والدين من جانب آخـر وبهذا يمكن إحـداث تغييـر فى واحد منهما دون تشويه الجانب الآخر، ولكن إذا كان النظام الإسلامى يقوم على مفهوم دولة يسـيطر عليـهـا الدين، فـسيكون مـن الخطر على الإسـلام تغيـيـر أى من الاتجاهين.

ثالثًا: هنالك مسـألة «المؤمنين المجهولى الهوية»، وقـد أثارت هذه المسألة جدلا جاداً ولها علاقة وثيقة باللاهوت والاستراتيجـية المنهجية فى تنصير المسلمين، وقد أثير موضوع المؤمنين المجهولى الهوية فى عام ١٩٣٠ فى اجتماعات عقدها **مجلس الشرق الأدنى الـنصرانى**[1]، وكذلك فى **مؤتمـر مدراس** الذى نظمه **مؤتمر التنصـير العالمى فى عام ١٩٣٨م** - ويلخص أحـد أساتذة الجامـعات الأمريكيـة فى الشرق الأدنى هذه المسألة على النحو التالى:

إن هذا الأسلوب لا يجبـر المسلم الذى يعيش تجربة الدخول فى النـصرانية لأن يتخلى عن ارتباطاته الاجـتماعية مع المسلمـين، بل يرى أن المتنصر الحديث السن الذى يستـمر فى تعـايشه مع المجتـمع الإسلامى سـوف يسلك الطريق العيـسوى ويهتدى به فى داخل ذلك المجتمع، وثمة أشـياء بالطبع لا يستطيع فعلها، وسوف يكون عـرضة للمطاردة والانتـقاد ولكن هذه المعـاملة لا تشتـد إلا بعد عـزله عن مجتمعه الذى يسعى جاهداً للتعـايش معه، وبهذا تبقى الخميرة داخل الكتلة ويبقى المصباح فى مكان مظلم، وبهذه الطريقة سيكون نشـر النصرانية عملا روحياً وليس تنظيمـياً، حيوياً لا لاهوتيّـاً، أخلاقياً لا شكـلياً... وهذا الأسلوب ينطوى على مزايا عـديدة تجعله مفـضلا على غيـره لأنه لا يهدف إلى جعل المتنصـرين الأفراد

(1) Near East Christian Council.

منفصلين فى مجموعات صغيرة معزولة عن المجتمع الإسلامى، بل يهدف إلى غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية، وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التى تعمل داخل الكيان كله لتمكن روح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعى، وبهذه الطريقة أيضًا يمكننا أن نستوعب فى الحظيرة النصرانية مسلمًا نصرانيًا، ولا هوتيًا إسلاميًا - نصرانيًا محليًا، ونمطًا محليًا من أنماط الإسلام النصرانى المنظمة»[1].

وفى الاجتماع الذى عقد فى دلهى فى الهند فى ٦-٧ كانون الأول عام ١٩٣٨م، والذى حضرته مجموعة تمثل الإرساليات التنصيرية العاملة فى أوساط المسلمين، ناقش المؤتمرون وجهة النظر المذكورة أعلاه وأصدروا القرارات التالية:

بعد الاستماع إلى تقرير عن التحقيق الذى أجرى حول تنصير المسلمين والذى قام به مجلس الشرق الأدنى النصرانى ناقش المؤتمر بالتفصيل الاقتراح التالى الذى ورد فى التقرير المذكور -إن الأمل النهائى لجلب المسلمين إلى المسيح والنصرانية يمكن تحقيقه عن طريق تطوير مجموعات نشطة وقادرة على تقديم المسيح للآخرين بينما تحتفظ بولائها للفئة الاجتماعية والسياسية التى تنتمى إليها فى العالم الإسلامى، إن الهدف الأمثل هو قيام كنيسة على رأسها المسيح فقط ولا تحمل أية سمة أو صفة تشير إلى أنها مؤسسة أجنبية تسحب الناس من روابطهم السياسية والاجتماعية الطبيعية[2].

وحول هذا الموضوع اتخذ القرار التالى:

إن هذا المؤتمر الذى يضم العاملين فى مجال التنصير بين المسلمين يرغب فى أن يسجل أنه وعلى الرغم من معرفتنا بالاهتمام الواسع بربنا يسوع المسيح الموجود فى العالم الإسلامى اليوم وأن المؤمنين الحقيقيين قد لا يعلنون انضمامهم إلى الزمالة النصرانية نود أن نقرر أن هدفنا وبغيتنا كمنصرين تحتم علينا تعريف الناس جميعًا بضرورة الشهادة العلنية للمسيح من خلال زمالة الكنيسة النصرانية[3].

---

(1) Zwemer, 1941.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

ويضيف **الدكتور زويمر** رأيه حول هذا الموضوع قائلا:

إذا لم نطلب من المسلم المتنصر أن يتخذ قرارًا حاسمًا ويقطع علاقته بماضيه ويقبل حياة جديدة بإيمانه وقبوله بالمسيح، فإننا نظلمه، إن الطريقة السهلة هى ليست طريقة الكتاب المقدس، إن الموقف الودى تجاه المسيح وتجاه النصرانية لا يكفى، إن طريق الصليب يعنى الصلب وليس التطعيم[1].

يبدو لى أننا متى ما وجدنا تمامًا إجابات إنجيلية ولاهوتية على هذه التساؤلات الأساسية المطروحة فإننا نتمكن حينئذٍ من وضع استراتيجية ملائمة ومن إيجاد مناهج مناسبة لتنصير البلاد الإسلامية، إن القضية هى أعمق من النظم الثقافية والاجتماعية ومناهج الاتصال وإعداد وسائل وأدوات أكثر ملائمة، كل هذه الأمور مهمة جداً، كما يتعين علينا بذل أقصى الجهود لإزالة كل المعوقات الثقافية والبشرية وإعداد أفضل الأدوات، ووضع الرسالة فى إطارها الصحيح، وإصلاح الكنيسة واستخدام براعتنا فى إنتاج البرامج والمواد وتطوير العاملين وهذا يعنى أنه يتعين علينا أن نضيف إلى الأمور التى نراها مهمة جداً، تلك الأمور التى نعتقد أنها الأهم، ولدىَّ انطباع أن الإسلام هو أولا وقبل كل شىء قوة روحية، وصيغة لاهوتية وبناء «دينى»، وسيواجه الإسلام بجرأة كل الخبرات الفنية والضغوط التى نستطيع تنظيمها، إنه لن يستسلم لشىء أقل من روح الرب مجسدة فى رسالة المسيح الذى صلب وقام وصعد وتمجد وبرجال يعرفون ربهم ويعملون بصبر الروح القدس وقوته التى لا يمكن مقاومتها.

إننى أميل إلى الاتفاق مع **فاندر وزويمر وفريتاك** وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية، «مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر» لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل، وأبوة الرب وأن المسيح ابنه، وضرورة موته وكفايته لمفهوم الإخلاص، وتبرير بعثه، إنه الخلاف الأكبر فى النصرانية وفى الكتاب المقدس، أملنا فى الخلاص، ولكن محرك

(1) Ibid.

هذا الخلاف هو الإسلام وليس النصرانيـة، وفى ذات الوقت فالنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينيـة المتناسقة اجتماعـياً وسياسياً ويفـوق فى ذلك النظام الشيوعى، ولكن هذه الحقـيقة يجب ألا تثبط عـزم المنصرين أو تعميـهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال أو الجسور، فهى حقيقة تضع الإسلام فى وجهته التاريخية والدعائية الفريدة فقط، وعلـى كل حال، يجب ألا تخيفنا هذه الحقـائق لأن وجودها يشكل أكبـر وأعظم مجـد للكنيسـة، فمن وجـهة نظر دكـتور بافيك ليس هنالك نظام متـماسك لم يترك الرب فـيه شروخًا تجـد دعوته طريقًا من خـلالها[1]، إن الإله الموجـود فـينا أعظم من الإله المـوجود فى الـعالـم، وأعظم حـتى من الإله الذى يتحدث عنه الدين الإسلامى.

إن الكتاب المقـدس هو قوة الرب والمسيح هو المنتـصر، ومن هذا المنطلق يجب علينا ألا نتوقف عن البحث عن طرق أكثر فعالية لإبلاغ هذه الحقائق.

احذروا الخـلاف والمواقف العـدائية والتـعالى فى النقـد، إن الصليب ليس هو مخلصنا الوحيـد فحسب ولكنه أيضًا سـبيلنا إلى النصر، وقد حـقق المسيح النصر بالصمت والصبر والتضحية والموت، ومحبته مدت يد المساعدة وتغلبت.

ملاحظة: هنالك دراسة شاملة وعميقة حول الموضوع.

ملاحظة المحـرر: هذه الدراسة لم توزع بوقت كافٍ يسمح بإرسـال التعقـيبات ولذلك لم تطلب خلاصة لها أو رد عليها.

●●●

(1) Johannes H. Bavinck, The Impact of Christianity on the Non - Christian World, 1948.

المراجع

Addison, James T.

1942 **The Christian Approach to the Moslem, A Historical Study**. New - York: Columbia University Press.

Bavinck, Johannes H.

1948 **The Impact of Christianity on the Non - Christian World**. Grand Rapids Eerdmans.

1966 **The Church Between the Temple and the Mosque** Grand Rapids: Eerdmans.

Butler, Father R.A.

n.d. "Anonymous Christians", **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies**.

Christensen, Jens

1977 **The Practical Approach to Muslims**. Upper Darhy: North Africa Mission.

Elder, J.

n.d **Biblical Approach to the Muslim**. Houston: Leadership Instruction and Training International.

Freytag. Walter

n.d **Reden und Aufsaetze**. Chr. Kaiser Verlag.

Holsten,Walter, editor

n.d **Weltmission Heute - Neue Begegnung von kirche und Islam -**

obeikandl.com

Evange- lischer Missionsverlag.

International Review of Missions.

1976 No. 260.

Latourette, Kenneth Scott

1970 **A History of the Expansion of Cristianity**. Volume VI. Grand Rapids: Zondervan.

Moon, Rev. J.S.

1967 "From Carey to Zwemer" **The Bulletin of Christian Institutes of Isgamic Studies**. I, 1:46 - 51, 57, I, 2:38 - 43, I, 4:37 - 42.

1967 "The Century before Zwemer" **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies**. L VI, 1:10 - 15.

Oldham, J. H.

1916 **The world and the Gospel**. London.

Speer, Robert E.

1901 **Presbyterian Missions**. New Jersey: Fleming H. Revell.

Speight, Rev. R. Marston

1968 "The Purpose of Christian - Muslim Dialogue", **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies**. I, 3.

Taylor, John B.

n.d. "Principles for Dialogue between Christians and Muslims", **The Bulletin of Christian Institutes of Islamis Studies**.

Vander Werft, Lyle I.

1977 **Christian Mission to Muslims**. South Pasadena: William Carey Library.

obeikandl.com

Zwemer, Samuel M.

... The **Moslem World**. Hartford, Conn: Hartford Seminary Foundation.

1924 **The Moslem Doctrine of God**. 2nd edition. New - York: American Tract Society.

1941 **The Cross Above the Crescent**. Grand Rapids: Zondervan.

n.d "Christian in Dialogue with Men of other Faiths, Kandy Consultation, February - March 1967" **The Bulletin of Christian Institutes of Islamic Studies**.

●●●

obeikandl.com